الكتب

١ — **وحى العصر** — تأليف الأستاذ ابراهيم المصرى

٢ — **قصص الحياة** — تأليف السيدة نور الهدى الحكيم

للأستاذ محمود الخفيف

ترى فى هذين الكتابين مثلين من ألوان الأدب العصرى فى مصر . أما أولهما فمجموعة مقالات تتخللها عدة أقاصيص مترجمة ، قسمه المؤلف خمسة أقسام : دراسات أدبية ، واجتماعيات وضرخات ، ووجوه وأرواح ، وقصص . ولذلك كان الكتاب فى بنائه وفى موضوعه لا يخرج كثيراً عن ذلك النوع من الأدب المعروف « بأدب المقالة » ، فلقد جمع المؤلف شتيت ما كتب فى مناسبات مختلفة وأطلق عليه اسم وحى العصر ، وإن كان هذا الاسم يوحى اليك فكرة متصلة أو دراسة مفصلة للعصر الذى يعيش فيه

تطالع الفصل الأول « وحى البيئة والعصر فى الأدب الحديث » فترى الكاتب يقرر أن الأدب الحى الجدير بالبقاء هو ما جمع بين تأثير البيئة وإيحاء العصر ، وتراه من أجل ذلك يعيب على أدبنا العصرى خلوه من هذه الصفة ، بينما هو يمتدح الأدب الأوربى ويعجب به ، وهو إذ يورد لك الأمثلة فى أدبنا ينسى أن ما يشكو منه إنما هو وليد البيئة ، كما جاء فى كلامه عن طريقتنا فى الحب والشعر مثلا ؛ والغريب أنه يشير إلى العلة ، وهى بعد المرأة عن الرجال ! أوليس تأثير البيئة الذى يدعو اليه واضحاً فى هذا ؟ وكيف يتسنى لنا أدب آخر مع ما نحن عليه ؟

وانك لتنتظر أن يدور الكتاب على تلك القاعدة التى يدعو اليها ، فاذا بك لا تكاد تحس أثراً لبيئتنا إلا فى تلك القطعة الجميلة القوية وهى « للمرأة المصرية قبل الكفاح الوطنى وبعده » وماعدا هذه فالصبغة كلها غربية ، أوربية وأمريكية ، ففى مقالة « الصدق فى الأدب والحياة » تجده لا يقصر عن اتهام أدبنا فيرمينا بأننا نؤثر اللذة على الألم فى انتاجنا ضعفاً منا وجبناً ، ثم هو يعيب علينا كثرة الخيال وضعف قوى العقل ، يعيب ذلك علينا فى الشعر والقصة ، وهو لا يجهل أن الشعر فى العالم قديمه وحديثه شرقيه وغربيه وليد الخيال ، وأن القصة تفقد أهم عناصرها إذا غلب فيها التحليل والدرس على الخيال الشعرى القوى ، فاذا طلب الصدق فعليه أن يطلبه فى الفلسفة ، فان الصدق فى الأدب عدو الخيال ، ومن ثم فهو عدو الشعر والقصة . على أن الكاتب الفاضل لا يلبث أن ينسى هذه القاعدة أيضاً ، فيرى أن الأدباء البرجوازيين يتعامون عن بيئتهم ، ويزيغون عنها ، ويبتعدون بذلك عن الصدق ، وهو مع ذلك يرى فى أدبهم قوة تنجيه من اللوم ، ثم تراه حين يتحدث عن « الشعر فى هذا العصر ونهضته فى فرنسا » يدعو مع الداعين من أبناء الغرب إلى السمو الروحانى والخيال الجامح المليء بالرؤى والأحلام ، تراه يدعو إلى « ذلك الشعر الذى يغلب فيه الخيال على العقل ، والذى ينطلق كموج الموسيقى ، ويتصاعد إلى السماء كالصلاة ، ويقصد به الشاعر التغنى بالحياة وتمجيد ظواهرها واستبطان هذه الظواهر بواسطة الأشراق الروحى والاتصال من خلالها بالقوة العلوية الخالدة التى أبدعتها » فأين هذا من انكاره الخيال فى الأدب وخصوصاً فى أدبنا ؟ ! ولعل هذا التناقض نتيجة انعدام الوحدة فى الكتاب كما سبق أن ذكرت

أما باقى موضوعات الكتاب فهى كما أسلفت غربية الروح والعاطفة ، فأنت تقرأ الأدب الأمريكى الحديث وترجمة خمسة من أعلامه ، وتقرأ أدب السرعة ومظهره فى أوروبا ، كل ذلك دون أن تظفر باشارة إلى شاعر من شعرائنا أو كاتب من كتابنا ؛ وفى قسم التراجم من هذا الكتاب لن تجد سوى أعلام الغربيين كأميل زولا ، وبول بورجيه ، ورومان رولان ،

وهنري دي منترلان ، وغيرهم ؛ وفضلاً عن ذلك فلن تحس بشخصية المترجم في تلك التراجم ، وهي على دقتها واستيفائها لا تخرج في جملتها عما نطالعه في المجلات من لمحات بسيطة في سير هؤلاء الرجال حتى لقد أحسست أن ثقافة المجلات مسيطرة سيطرة قوية على الأديب المؤلف في هذا الباب

حتى الأقاصيص تجدها معربة تشرح بيئات غير بيئتنا ومجتمعاً غير مجتمعنا ، ومُثلاً غير مثلنا . نعم لا ضير على الأديب أن ينقل الينا ما استحسن من النماذج بين حين وآخر ، ولكن على شرط أن يشعرنا بألحاننا ويرينا من ألوان ثقافتنا وصور حياتنا ما يؤنسنا وسط هذا الضجيج الغربي الذي نخشى أن يعوق تقدمنا ، ويمحو ذاتيتنا ، ويحول بيننا وبين الاصالة والخلق ، ويقطع الصلة بيننا وبين ماضينا الحافل

ولست أشك في أن الأستاذ ابراهيم المصري بذكائه ونشاطه واستعداده قمين أن يجول في أدبنا المصري الناشيء جولات تعود علينا بالخير ، إن هو وجه إليه بعض عنايته

* * *

يأتي بعد ذلك الكتاب الثاني « قصص الحياة في الأسرة والمجتمع » للمربية الفاضلة السيدة نور الهدى الحكيم ، ويقع في نيف وثلثمائة صفحة ، ذكرت مؤلفته أنه مؤسس على نظريات التربية وعلم النفس والاجتماع . ولقد قرأته فألفيته يدور كله حول المرأة وعلاقتها بالرجل ، وهو يضم إلى مابه من أقاصيص بعض نظرات في الحياة « كاستفتاء في حادث خاق » والمجتمع الحديث للأسر المصرية ، وتطور الآراء في تربية المرأة . وهذا الكتاب يتناول المجتمع المصري والبيئة المصرية في الكثير الغالب من موضوعاته ، حتى لتكاد تنعدم فيه الصبغة الغربية ، على الرغم من أن صاحبته عاشت في أوروبا زمناً ، وهي ظاهرة نحمدها لها ؛ فما أحوجنا إلى من يتناول حياتنا بالشرح والتحليل في إخلاص وعطف . ولقد أحسست الاخلاص والتحرق إلى الاصلاح في هذه الأقاصيص الساذجة ، وأعجبتني تلك الروح الطيبة ؛ فالكاتبة لا تشير إلى عيوبنا إشارة المترفع المستكبر الذي يباهي بمدنية غيره ، ولن يهمه سوى إظهار نقائصنا وعرضها في شكل فضائح كما يفعل بعض شبابنا ، بل تراها تعرض لها في رفق وهوادة ، ولن تقتصر على الوقف السلبي منها ، وإنما تذكر أوجه العلاج وتشرحها جهد طاقتها ، وهي كما أذكر طريقة حميدة وروح محمودة . هذا إلى أن الكاتبة الفاضلة قد وفقت إلى أسلوب بسيط مقبول ، تراه وإن لم يرضك كثيراً من ناحية البلاغة ، لن يثقل عليك ولن تمله

غير أني أرى بناء القصة عندها ضعيفاً ، ولعلها لا تسير فيها على قاعدة ولا تنتهج طريقة ، وإنما يختلج الرأي في رأسها فتلبسه ثوب القصة في أي وضع ، جاعلة نصب عينيها إبراز الفكرة وتوضيحها بطريقة سهلة غير طريقة الدفاع والمناقشة . ولعلها لم تفكر قط في بناء تلك الأقاصيص ؛ والحقيقة أنها أقرب إلى « الحكايات » التي تدور بين جليسين منها إلى القصة في وضعها الفني ، فأنت إذا طلبت الاستمتاع الفني عند قراءة هاتيك الأقاصيص لن تظفر به في معظمها ، أما إذا طلبت الرأي والعاطفة فهي متوفرة لديك

هذا إلى أن الكاتبة النابهة ، أقوى شخصية وأشد تأثيراً وأسمى بياناً في المقالة عنها في القصة ، فلقد أعجبت حقاً بمقالها « تطور الآراء في تعليم المرأة وتربيتها » وتلوته مرتين مستمتعاً بما جاء فيه من آراء صائبة ، وما تجلى في ثناياه من روح متوثبة

وإني إذ أقدم هذا الكتاب إلى فتياتنا وفتياننا ، أتقدم بالثناء للمربية الفاضلة على ما بذلت من جهد وما توخت من خير

الخفيف

ظهر حديثاً :

في أصول الأدب

صفحات من الأدب الحي والآراء الجديدة

بقلم

احمد حسن الزيات

يطلب من إدارة « الرسالة » ومن جميع المكاتب

وثمنه ١٢ قرشاً عدا أجرة البريد